

قصة مدينتين- وصورة من صور التمييز بينهما

عبدالله احمد السيارى

المدينتان هما عدن وصنعاء، والتمييز هو في ارساء الخدمات الطبيه.

مكنني الله- مع زملاء اخرين اجلاء من بلاد مختلفه- بان اشارك في تنظيم مؤتمر في مارس من عام 2003. وكان هذا المؤتمر يتمحور حول امراض و زراعة الكلي والجهاز البولي. واستمر المؤتمر لمدة اربعة ايام.

وكان الدكتور حسين الكاف – عميد كلية الطب في جامعة عدن وقتها- هو صاحب الفكرة. وارتأى ان نقوم بزراعة للكلي – ولاول مره- في عدن خلال عقد المؤتمر.



وبعد تحضير كامل لشهور، وصل فريق كامل من اطباء وجراحين ذوي معرفة وخبرة وباع طويل في زراعة الكلي من المملكة العربية السعودية ممثل بالمدير العام للمركز السعودي لزراعة الاعضاء وخبراء من بريطانيا والنمسا وبولندا والامارات العربية المتحدة. وقد كان الزائرون خبراء، وخبرتهم في مجالات عدة

ذي علاقة بجراحة زراعة الكلي وطب الكلي و التخدير والعناية الفائقة وعلم النفس الاكلينيكي و التنسيق في زراعة الاعضاء و خبراء في الغسيل الكلوي.

واثناء مدة التحضير، تم نقل عينات دم الى الخارج لعمل الفحوصات اللازمة للمرضى ومترعيهم. وتم تفتيش المنشأة الطبية في عدن، واحضار الاجهزة الناقصة للعمليات. كما تم تحصيل كل الادوية اللازمة للزراعة وما بعدها.

وقد إنتهى المؤتمر بنجاح وحضور كبير.

كما نُقلت بنجاح خمس كلي من خمسة متبرعين الى خمسة مستقبلين من اهلهم، خلال 20 ساعة. ويبقى هذا رقما عالميا مسجلا الى الان (المرجع في الاسفل).

الا ان هذا الانجاز لم يتم بسهولة على الاطلاق، اذ اصرت الحكومة في صنعاء ان تجرى العمليات هناك (اي في صنعاء) واصرنا نحن ان تبقى في عدن - وهذا موثق في دوريات طبيه (المرجع في الاسفل). وقد حضر الاطباء الى غرفة العمليات مرات عديدة، وفي كل مره يتم الغاء العمليات بامر من صنعاء عبر التلفون.

وبعد محاولات كثيرة، وبعد ان هم الخبراء بمغادرة فنادقهم والرحيل وهم في حالة من التعجب والغضب- تمت الموافقة بعد مكالمة مع الرئيس المخلوع.

وبعد اجراء العمليات، حاولنا الاستمرار في اعطاء خدمة خيريه لزراعة الكلي في عدن. فلم نتمكن من ذلك لعوائق تتمثل في روح اللامبالاه عند المسؤولين.

ونتيجة إجراء ونجاح هذه العمليات، منح رئيس الجامعة وقتها- الدكتور صالح باصره- باسم مجلس الجامعة شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة عدن لاربعة من المشاركين في هذا الانجاز الفريد وهم الدكتور روبرت فيتزرالد من النمسا ، الدكتور فيصل شاهين من المملكة العربية السعودية، الدكتور ندي حكيم من المملكة المتحدة والدكتور عبدالله السيارى .

وقد منحنتي هذه تجربته بمجملها – الى جانب فوائدها الطبيه العلميه- فؤائد كثيرة تتعلق بالناحية النفسية والاجتماعية والسياسية والانسانية. وكيف قرأت ماهيه العلاقة بين المركز والاطراف ومن تلك الدروس الغنيه ما يلي:

1. **عظمة وسمو الايثار بين العائلات في الجنوب.** واتضح ذلك في تبرع المتبرعين – الذين حضروا من كل محافظات الجنوب - وبصحة اقاربهم . ولم يهنوا في عزمهم للتبرع بالرغم من الالغاءات المتكرره للعمليات نتيجة تعاليم صنعاء التي كان من شأنها ان تثبت اليأس والقنوط فيهم إن كانوا اقل اصرار وعزيمه.

2. **التضحية والتفاني المهني .** الخبراء من الخارج وبالرغم من علمهم بحتمية حدوث الحرب بين امريكا والعراق الا انهم قطعوا على انفسهم وعدا بالقدوم الى عدن خلال حرب او دونها. وقد انطلقت الحرب الضروس في ايام وصولهم واثناء وجودهم، ولم يثنيهم ذلك عن الاستمرار.

والشيء الاخر الذي اقسم عليه ان الدكتور فيصل شاهين المدير العام للمركز السعودي لزراعة الاعضاء ترك فراش المرض اثر عارض حاد الم به نتجة لالتهاب فيروسى كبدي، ترك الفراش ليأتي الى عدن وفاء لوعده قطعه على نفسه في المساهمه المؤثره والفاعله في نجاح العمليات والمؤتمر.

وعندما فقدنا الامل في ان تتم العمليات في عدن نظرا للالغاءات المتكرره من صنعاء وعد الدكتور فيصل على رؤوس الاشهاد انه سيحاول كل استطاعته لاجراء العمليات لاولئك المرضى في السعوديه.

3. **الرابطة الإنسانية والتواصل العاطفي** "عامل انيليز" احد الزائرين الاجانب - وكانت اخصائية النفس الكلينيكي الدكتوراه انيليز فيتزجيرالد - تمكنت من التواصل الوجداني مع المتبرعات والمريضات دون استعمال اللغه، بل باستعمال لغة الجسد فقط. كتبنا عن هذه الظاهره التي سميناها "عامل انيليز في التواصل العاطفي في زراعة الاعضاء" (المرجع في الاسفل).

4. **المركزية الفردية الصارخه.** حاولنا كل جهودنا بان نقنع المسؤولين في صنعاء بان تتم العمليه في عدن بالاتصال بوزير الصحة ووكيله ورئيس الوزراء حينها. ولم يجدي ذلك فتيلاً وقمت مع الدكتور ندي حكيم بالاتصال بنائب رئيس الجمهوريه حينها السيد عبدربه منصور هادي (الرئيس الحالي) الذي ابدا استعدادا للمساعدته ولكن يبدو انه لم تكن لديه صلاحيات فاعله وقتها، و يبدو ان كل القرارات كانت في شخص رئيس الجمهوريه المخلوع. فما ان قام محافظ عدن حينها الاستاذ طه غانم بالاتصال به حتى تمت الموافقه في دقيقه من الوقت، (المرجع في الاسفل).

5. **اللامبالاه وعدم الاهتمام.** بعد ان تمت العمليه وعلى مدى شهور قمت بمقابلة مسئولين كبار بما فيهم وزير الصحة والمحافظ ومسئولي الصحة في المحافظه وغيرهم كثيرين لارساء خدمة خيرية مجانيه مستمره لزراعه الكلي في عدن. وقد تمكنت من اقناع اطباء وجراحين من مختلف انحاء العالم للقيام بذلك بصفة دوريه. ومع انهم استقبلوني استقبالا جيدا الا انهم لم يبدو المبالاه او المتابعه او الاهتمام بهذا المشروع.

واثناء زياراتي تلك زرت صنعاء وزرت المنشآت الطبيه فيها. واتضح لي ان عدن لا يتوفر فيها من الامكانيات الطبيه الحكوميه ما يوازي 1% مما تحظى به صنعاء.

6. **عصابة الخمسه واثار التحفيز الايجابي .** اختار الدكتور حسين الكاف خمسة من الطلبة للمساعدته في التحضير للمؤتمر. وشجعهم على القيام بذلك باعطائهم المسئوليه بصاحبها مساحة من الحريه. فكانت اسهاماتهم غايه في الاتقان والعمل الدؤوب. وكانوا يعملون كفريق واحد. وقد اطلقت عليهم اسم "عصابة الخمسه" ، تلك الملاحظه تعطي الامل في الشباب ان اتيح له فرصة الاسهام.

7. وكانت ثمة مخرجات طبيه اخرى لهذا الحدث اذ تم اصدار مجلة علمية جديده دوريه تصدر من جامعه عدن. ويرأس تحريرها الدكتور حسين الكاف واسمها "مجلة الامراض الاستوائيه لامراض الكلي والجهاز البولي". كما تم تاليف كتاب "الحالات الطارئه لامراض الكلي والجهاز البولي" (الفه حسين الكاف وفيصل شاهين وعبدالله السيارى).

ينبغي علي هنا ان انهي المقال بالشكر والاشاده باشخاص لولا اسهاماتهم لما تم المؤتمر وعمليات زراعة الكلي وهم:

1. الدكتور حسين الكاف

2. السيد طه غانم

3. الدكتور صالح باصره

4. الدكتور رمزي عليوه الذي قام بالمساعدته في اعداد المرضى للزراعه قبل حدوثها ومتابعتهم ورعايتهم باتقان منقطع النظير على مدى 24 ساعه يوميا، بل انه

كان يجلب لهم مختلف الادويه التي لم تكن متواجده في المستشفى. وقد ثبت لي انه طبيب غاية في المهنيه والاخلاق الطبيه.

5. عصابة الخمسه

المراجع

1. The Annelies factor--on human bonding in transplantation

<http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/15926753>

2. Professor Nadey Hakim's Trip to Yemen

https://www.icsglobal.org/resources/global_news/res_gn_archv_hakim.asp

3. Dealing with the uncertain and the unexpected: a report on the first kidney transplantations in Aden, Republic of Yemen.

<http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/15926752>